مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 1112-7163
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دور التعليـــم في نهضـــة الأدب الأندلســي

مبـــارك جعفـــري
قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات
جامعة أدرار الطريق الوطني رقم 06 أدرار 01000 ، الجزائر
mebarekjaafri@yahoo.fr

ملخص -
من خلال الحديث عن التطور العلمي في نهضة الأندلس، سنرسم صورة واضحة لما كانت عليه أنذاك،وذلك بالحرص حرصنا على إبراز جوانب النهضة العلمية الأدبية والحضارية في مجالاتمختلفة ، وأن نقدم نماذج حيوية لذلك النشاط، وما لا شك فيه أن ما قدّمه الأندلسيون من ثمرات جهودهم العلمية كان نفيساً وقيّماً، ولا نقول ذلك اعتباطاً بل هو حقيقة واضحة لا تقبل الشك، تتمثل في مؤلفات كثيرة ورائعة والتي لا تزال تحتلّ مكانة عظيمة في المكتبة الأدبية العربية، وتدل دلالة واضحة على أن ما بلغه الأندلسيون من سعة العلم ودِقة الفهم والنبوغ العظيم.

الكلمات المفتاحية -
النهضة العلمية. طرق التعليم ومراحله. النشاط العلمي في الأندلس

The Role of Education in the Renaissance of the Andalusian Literature

Abstract –

Along our discussion about the scientific development in the renaissance of Andalusia, we will give a clear picture of what it was then, and by maintaining our commitment to highlighting the aspects of literary, scientific and cultural renaissance in different fields, and providing vital models for that activity, There is no doubt what Andalusians brought as scientific fruits were precious and valuable .Objectively saying; it is a clear fact beyond any doubt that can be seen through the many wonderful books which still occupies a great position in the Arab literary library. These outputs are a

tangible proof of The Andalusia's accurate understanding of the great ingenuity and capacity in a language of science.

Kay Words-

Scientific activity in Andalusia, Scientific renaissance, Ways and levels of education

إن الجانب التعليمي في النهضة الأدبية والعلمية في عصر الخلافة الأموية وملوك الطوائف وعهد المرابطين يعتبر النقطة الفاصلة،حيث أن أهل الأندلس لم يبلغوا ما بلغوه إلا بما ساروا عليه من مناهج وطرق تعليمية أسهمت في بناء الكيان العلمي الشامخ، وأوصلت الأندلسيين إلى مدارج رفيعة في حقول المعرفة العلمية.

وقد عني الأندلسيون بتعليم أنفسهم وأبنائهم وحرصوا أشد الحرص على مكافحة الجهل والتخلف والبطالة حتى وصفهم المقري (وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب، إنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة..... وهم يقرأون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم....)[1].

وحتى أبناء الطبقات الفقيرة نالوا اهتماماً وعناية من قبل بعض الحكام الذين يسّروا لهم طلب العلم وتحصيل المعارف، فعينوا لتدريس أبناء الفقراء معلمين ومربين وأغدقوا عليهم رواتب باهضة لدفعهم إلى الجد والإخلاص في العلم.[2]

واهتم الخلفاء والملوك بتعليم أبنائهم وتنشئتهم نشأة خاصة تليق بما ينتظرهم من أعباء ومسؤليات سياسية مستقبلاً، فاستقدموا لتعليمهم كبار العلماء والمؤدبين، وهذا مثلا الأمير عبد الله ملك غرناطة يحدثنا في مذكراته عن هذه الناحية التعليمية فيقول: (وقد كنا معشر أهل بيت المملكة نرى من آكد ما نتأدب به من أعمال السياسة في طلب الرياسة، والسعي لها بكل الوجوه وإحضار الأذهان،.... ولما كان المظفر جدنا رضي الله عنه قد أوتي من الدهاء والتميز لأحوال الزمان ما لا خفاء به، وإنه من آكد ما يجب له النظر في ترشيح أحد بنيه للولاية، وإن ذلك لا

[1]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ج7 ، بيروت، 1968م. ص 220-221.

[2]- ابن عذارى، البيان المغرب ، ج2، تحقيق كولان، دار الثقافة –بيروت- لبنان، ط3، 1983م.ص 240-241-249.

يتم إلا بتمرينه وإعمال في جميع خدمته، كي يتدرب ولا يخفى عليه من أمور الدولة ما يحتاج إليه في نفسه كنت من وفقه الله في بره والانصياع لوصيته فأمر بإخراجي من المكتب إلى التصرف بين يديه وقال لي – نضر الله وجهه- معك من الكتابة وتلاوة القرآن ما يكفيك وهذا أولى ما تتعلم، فعليك بإحضار ذهنك لجميع ما يكون مني وما ينقضي في دولتي من هذه الفتن، فإن الزمان أشر، والأيام أقصر من أن تدرك، تعلم كل شيء يعنى به الملوك لأبنائهم).[1]

وعلى هذا فقد كان العلم مشاعاً بين الناس جميعهم، متيسراً للفقراء منهم، فكان الشعب الأندلسي شعباً متعلماً مثقفاً، حتى ندر أن يرا المرء طفلة أو طفلاً بلغ الثامن عشرة من عمره ولم يتزود بالعلم الكافي على الأقل لتأهيله للقراءة والكتابة).[2] إذن فما النظام التعليمي الذي اتبعه الأندلسيون لتحقيق نهضتهم ؟ وما أهم مراحلوطرق هذا النظام ؟ وما هي مراكزه ؟

1- نظـــــــــام التعلـــيم

كان نظام التعليم عند المسلمين يستمد روحه من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولهذا لا نعجب إذا رأينا الأندلسيين وقد اعطوا هذا الجانب اهتماماً وعناية بالغتين، فقد كان القرآن الكريم هو صلب التعليم الأولي ويضيفون إليه تعلم اللغة العربية، ودراسة الآدب والشعر مع العناية بالخط والكتابة، وهذا النظام التعليمي أدى إلى توسيع دائرة الاهتمام العلمي مع ترسيخ معرفتهم بتلك العلوم منذ البداية، وكان له أبعد الأثر في صقل مواهب المتعلمين وتقوية ملكاتهم الأدبية في مابعد.[3]

وقد أمدنا الفقيه المؤرخ ابن العربي (ت543ه/1148م) بنص قيّم يوضّح لنا المنهج التعليمي الذي سار عليه إبان نشأته العلمية وهو ما يعتبر تقريباً السمة العامة للنظام التعليمي الأندلسي، ويشير ابن العربي في ذلك النص إلى الطريقة التعليمية أو النظام الدراسي الذي وضعه والده له، فكانت بدايته بطبيعة الحال مع القرآن الكريم فدرسه وأخذ في حفظه وتمّ له ذلك وهو في التاسعة، ثمّ عيّن له أبوه ثلاثة من المعلمين أحدهم لتدريسه القراءات والثاني لتدريسه اللغة العربية، والثالث لتعليمه الحساب أو العدد وما يتصل بذلك من علم الفلك. ويذكر ابن العربي أنه لم

---

[1]- المصدر السابق . ص 11-12.

[2]- سعيد عبد البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، جامعة أم القرى، ص 239.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص538-539. خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف بمصر- مطبعة القاهرة الجديدة، ص 63.

يتم العام السادس عشر حتى أتقن عشرة من أحرف القرءان وما يتصل بها من تجويده إلى جانب وقوفه على قسط جيد من اللغة العربية، وتمكن أخيراً من فهم كثير من مسائل الحساب والجبر والفرائض ومعها كتاب إقليدس إلى جانب إلمامه بشيء من علم الفلك، وقد كان أولئك المعلمون يتعاقبون على تدريسه من صلاة الصبح حتى صلاة العصر كل فيما يخصه.[1]

هذه صورة واضحة لمنهج تعليمي اتبعه أحد التلاميذ الأندلسيين وهو منهج بلا شك- رغم ما يكتنفه من مشقة وجهد عسير متتابع- وخصوصاً إذا تذكرنا الفترة الزمنية- أقول رغم ذلك فإنه يعد من أفضل المناهج وأقواها في بناء الكيان العلمي للفرد وتنشئته نشأة علمية حازمة تجعله أقوى وأقدر على تحصيل العلوم والمعارف وتزرع في نفسه الجلد والصبر في تحقيق ذلك.

ولكن ابن العربي الذي سار على ذلك النهج كانت له آراء نقدية في مجال التربية والتعليم، وكانت رحلاته وأسفاره العلمية ولقائه العلماء في مختلف الأقطار، ومشاهدته لطرائق ومناهج التعليم في تلك البلدان قد كونت له آراء ونظرات علمية متميزة، ففيما يتعلق بهذا الجانب نجد ابن العربي قد تناول نظام الأندلسيين في التعليم بنقده اللاذع فأشار إلى أن تعليم الطفل القرآن الكريم في بداية حياته الدراسية خطأ كبير، لأنه يقرأ ما لا يفهم ويدرس ما لايدركه فهمه، ودعا إلى البدأ بتعليم اللغة العربية والشعر على سائر العلوم ، لأن الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل منه إلى تعلم الحساب وفهم مسائله، ثم ينتقل منه إلى قراءة القرآن ودراسته، إذ أنه عند ذلك يتيسر للتلميذ فهم القرآن وإدراك معانيه، ثم بعد ذلك ينظر في أصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه.[2]

وقد أثنى ابن خلدون على هذه الطريقة غير أنه استصعب تطبيقها وممارستها في الواقع لأن أحوال الناس وعاداتهم تنافي تأخير قراءة القرآن وتعلمه، فهم حريصون على تقديمه لنيل المثوبة والتفائل ببركته في هذا الطور من النشأة. وخشية من أن يحدث للصبي إذا – ما أخر دراسة القرآن- من العوائق ما يصرفه عن العلم فيفوته تعلم القرآن وحفظه لأنه مادام تحت نظر والديه ومسؤليتهما كان أسهل انقياداً وطاعة حتى إذا كبر وشبّ فربما قادته ظروف عيشه إلى اللهو والبطالة. ولو

[1]- محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكرالعربي، ط1، 1982م. ص 450-451.

[2]- ابن خلدون، المقدمة. ص539.

كان هناك يقين باستمرار الصبي في تحصيل العلم ومتابعة التعليم لكانت طريقة ابن العربي أحسن ما يؤخذ به في المشرق والمغرب[1].

وهناك من أعلام الأندلس من شارك بتجاربه وآرائه العلمية في الإدلاء بما هو أفضل في نظام التعليم، كأبي الوليد الباجي الذي أكد على صلاحية النظام القديم لوطنه فحرص على أن يحفظ التلميذ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومعرفة ماكان منه صحيحا أو غير صحيح، ودراسة أصول الفقه الذي يعين على فهم أحكام القرآن والسنة، كما أوصى بأن يتدرب تدريباً سليماً على أصول النظر والمناقشة والنقد السليم لمسائل العلم.

ومن هنا يتضح لنا الإجماع السائد على أهمية دراسة القرآن الكريم في بداية حياة الشخص، ومحاولة زرع الاهتمام بهذا المصدر الصافي ليكون سلوكاً وعملاً إلى جانب كونه علماً ومعرفةً، وقد يكون هذا من أسباب تعميق الاهتمام بالدراسات الدينية مستقبلاً لدى التلاميذ وهو ما يفسر لنا سعة النشاط العلمي في هذه الدراسات.

2- مراحـــــــــــل التعليـــــــــــم

وفي ما يتصل بمراحل التعليم، فقد كان يمرّ تقريباً بثلاثة مراحل:

الأولى: يحفظ فيها التلميذ القرآن الكريم، والقراءة وبعض العلوم الأخرى.

الثانية: يتلقى فيها دروسه وعلومه بشكل أوسع وأشمل، حيث أصبح بمقدوره تلقى شروح القرآن وقراءاته، وشروح الحديث وما يتصل بالفقه بالإضافة إلى بعض العلوم الإنسانية والعقلية.

الثالثة: يتجه فيها التلميذ إلى التركيز على ما يميل إليه من علم أي أنها مرحلة تخصص في علم من العلوم التي درسها بشكل عام في المرحلة الثانية[2].

3- طـــــــــرق التعليـــــــــم

ومن أشهر طرق التعليم في ميداني العلوم الدينية والأدبية، طريقة الإقراء وفيها يعمد الشيخ إلى القراءة أوينوب عنه أحد الطلبة، وبقية الحاضرين يكتبون، وهو خلال ذلك يصحح ويشرح. فمثلاً العلامة أحمد بن عثمان بن سعيد الأموي الداني (ت471ه/1071م) أقرأ الناس القرآن بالروايات[3].

---

[1]- المصدر نفسه . ص539-540.

[2]- محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس. ص 211-212.

[3]- ابن بشكوال، الصلة، ،ج1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب القاهرة، 1966م، ص 65.

وقرئ على العلامة عبد الله بن سعيد الشنتجيالي القرطبي (ت436ه/1044م) صحيح مسلم في أسبوع بجامع قرطبة في موعدين طويلين، الغداة والعشية.[1]

كما أن العلامة أحمد بن عبد الله التميمي القرطبي (ت467ه/1074م) يروى عنه أبو الحسن بن مغيث بقوله: (كنت أختلف إليه لا قرأ عليه من كتب الأدب هنالك فدخلت معه يوماً إلى الجامع في أول الوقت، فقال لي: إذهب إلى موضعي فانتظرني فإن علي قضاء حاجة. قال فتوارى عني وأنا انظر إليه فدخل موضعاً خفياً من الجامع وتوارى فيه وهو يحسب أن عيني ليست واقفة عليه، فرأيته يكثر الركوع والسجود ولا يفتر عن ذلك إلى أن قرب وقت الصلاة فخرج إلى موضع انتظاري له، فقلت له ياسيدي: عسى إنقضت الحاجة قال: إنقضت إن شاء الله، اقرأ).[2]

ومن طرق التعليم أيضاً الإملاء، وهو أن يتخذ العالم له مجلساً يضم طلبة العلم ثم يحدثهم عن ذاكرته بما يحفظه من علم ومعرفة وطلبته يكتبون ذلك ويسجلون في أوراقهم.

ومن أشهر مجالس الإملاء مجلس الحافظ عبد الرحمن بن فطيس (ت 402ه/1111م) حدث عنه أنه كان يملي على الناس الحديث وبين يديه مستمل يسمع الناس ممن بعد مكانه عن الشيخ .

وممن جمع بين هاتين الطريقتين الإملاء والإقراء العلامة عبد الله بن فرج بن غزلونااليحصبيالطليطلي (ت487ه/ 1094م) فقد كان عالماً بالحديث والتفسير والأدب، وكان له مجلس حافل يقرأ عليه فيه التفسير ويتناوله بالشرح والإيضاح ويدعّم أقواله بكثير من الأحاديث الشريفة[3].

كما أن المناظرة العلمية من طرق التعليم، وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم أو حديث من الأحاديث، ثم يلقي الأسئلة حول ذلك الموضوع، فالعلامة عبد الله بن أحمد بن عثمان الطليطلي (ت417ه/ 1026م) كان يبدأ في المناظرة بذكر الله عزّ وجلّ والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلّم، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كانوا يناظرون عليه فيه.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أنه كانت هنالك مناظرات علمية حرة أي أنها لا تتقيد بحلقات العلم أو مجالس الدرس في الجوامع والمساجد، بل تجري غالباً بين شخصين. وكان لهذه المناظرات دور كبير في إذكاء روح الاهتمام بالعلم ومحاولة الوصول إلى خير الحقائق وأصح الآراء العلمية ومن أشهر هذه المناظرات في هذا العصر ما كان يجري بين

---

[1]- المصدر والجزء نفسهما ، ص 273.

[2]- المصدر والجزء نفسهما. ص64

[3]- المصدر السابق ص 286.

العلامة الفقيه الظاهري ابن حزم وبين معاصر الفقيه سليمان بن خلف الباجي.

وكان ابن حزم شديد الوطأة في مناظراته العلمية، حاد اللسان في جدله ونقاشه، وكانت حياته القاسية،وتكالب الظروف السياسية والاجتماعية ضده لها دور في تشكيل نفسيته القلقة، وحنقه على خصومه فقهاء المالكية الذين تضامنوا على محاربته وتحطيم مذهبه ووصفه بالخروج والانحراف عن جادة الصواب فأحرقت كتبه وطورد من مدينة إلى مدينة.[1]

وأخذ ابن حزم في الترحال حتى حل بميورقة ولكنه لم يسلم في تلك الجزيرة من نير خصومه، فقد التقى به هناك الفقيه المشهور أبو الوليد الباجي ودارت بين الإثنينمناظارت كثيرة، تجليا فيها ذالك العالمان وأبدعا في ما أتيا به من أدلة وبراهين، وكان الظفر والنجاح في تلك المناظرات سجالاً بينهما.ويبدو أن الباجي ألحق بخصمه كثيراً من العنت من وراء تلك المناظرات فخرج ابن حزم عن جزيرة ميورقة إلى حيث لا يوجد من يحط من شأن مذهبه. وعلى الرغم من ذلك فإن ابن حزم أثنى على أبي الوليد ووصفه بأنه من كبار علماء المذهب المالكي .[2]

ومن ضمن أقوال العالمين أن أبا الوليد خاطب ان حزم بقوله: " أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال، رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة، فأفحمه".[3]

وقال عبد الفتاح أبو غدة: والذي أراه أقرب إلى الصواب هو اعتذار الباجي، فقد قال الإمام الشافعي-رضي الله عنه- وقوله الفصل: " لا تستشر من ليس في بيته دقيق، لأنه مدله العقل".

وبرز أيضاً في المناظرات من العلماء أبو بكر بن العربي الذي ناظر عدداً من العلماء منهم أحمد بن محمد بن ورد التميمي (ت540ه/1145م) وحدث أن تناظر ليلة بحضرة الفقهاء، فكانا يثيران العجب والدهشة مما

---

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان ج4، دار صادر –بيروت- 1972م. ص 228.

[2]- ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الدار العربية للكتاب-ليبيا، تونس- ط1، 1981م. ص96.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج2. ص 77.

أوتيا من علم ونباهة وذكاء، يتحدث ابن العربي فيظن السامع أنه ماترك شيء إلا أتى به، ثم يجيبه بن ورد بأبدع جواب فينسى السامع ماسمع قبله.[1]

وكانت هذه المناظرات أو كثير منها تحظى بتشجيع الملوك والأمراء وتجري بين أيديهم وخاصة لدى بني عباد في إشبيلية الذين عنوا بالأدب والشعر، وبني الأفطس في بطليوس وخاصة في عهد المظفر صاحب الاهتمامات العلمية والأدبية ومؤلف الموسوعة المشهورة باسمه،وكذلك في طليطلة في بلاط المأمون الذي عني بالعلوم العقلية، ومثل بنو هود في سرقسطة وخاصة في عهدي المقتدر العالم الطبيعي وابنه المؤتمن العالم الرياضي، ولا ننسى بلاط المعتصم بن صمادح الذي كان يشهد ألواناً من المناظرات بين يدي المعتصم، وكان المتناظرون من العلماء يحظون بضروب من الإكرام والرعاية من اولئك الملوك والأمراء.

ومن طرق التعليم أيضاً الإجـــــــــــــــــــــازة: (ومعنى الإجازة مأخوذة في كلاب العرب مأخوذ من جواز اماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث يقال منه: استجزت فلاناً فأجازيني إذا سقاك ماء لأرضك ولماشيتك....كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يحيزه علمه فيجيزه أياه والطالب مستجيز والعالم مجيز).[2]

وللإجازة أنواع كثيرة، أولها: أن يجيز لمعين في معين، كقوله:" أجزت لك الكتاب الفلاني أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه وهي أعلى أنواع الإجازة.

ثانيها: أن يجيز لمعين في غير معين مثل أن يقول: " أجزت لك أو لكم جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي".

ثالثها: أن يجيز لغير معين بوصف العموم مثل أن يقول: " أجزت للمسلمين أو أجزت لكل واحد أو أجزت لمن أدرك زماني"، وقد أجاز العلامة أبو محمد بن سعيد الأندلسي لكل من دخل قرطبة من طلبة العلم، ومثله القاضي الفقيه ابن رشد الذي أجاز علمه وكتبه لجميع المسلمين سنة 520ه.

رابعها: الإجازة للمجهول أو بالمجهول. مثل أن يقول: " أجزت لمحمد بن خالد الدمشقي"، وهناك طائفة كبيرة من الناس تشترك في هذا الاسم والنسب ثم لا يعين المجاز له منهم، وهي إجازة فاسدة.

خامسها: الإجازة للمعدوم وللطفل الصغير وقد اختلف في جوازها ومثال أن يقول:" أجزت لمن يولد لفلان"، فأن أشرك المعدوم على

---

[1]- الداودي، طبقات المفسرين، ج1، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبه- القاهرة- ط1، 139هـ. ص 84-85.

[2]- ابن الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، دار الكتاب العلمية –بيروت- منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ص312.

الموجود كان أقرب للجواز من الأول، وإن عينها على المعدوم فقط فقد اختلف فيها وأجازها الخطيب البغدادي وكذلك أجازها للطفل الصغير.

سادسها: إجازة ما لم يتعلمه أو يحصله المجيز بعد ليرويه على المجاز له إذا سمعه المجيز بعد ذلك. وقد روي عن أبي الوليد يونس بن مغيث القرطبي أنه سئل الإجازة بجميع ما رواه إلى تاريخها وما يرويه بعد ذلك فامتنع من ذلك، فغضب السائل فقل له بعض أصحابه: يا هذا أيعطيك عالم يأخذ، هذا محال. قال عيّاض: وهذا هو الصحيح .

سابعها: إجازة المجاز مثل أن يقول الشيخ:" أجزت لك مجازاتي". أو أجزت لك رواية ما أجيز لي روايته، واختلف في صحتها والأرجح قبوله

وهناك شرو ط للإجازة. منها ما اشترطه الإمام مالك بن أنس، رحمه الله تعالى، وهي أن يكون الفرع مطابقاً للأصل، وبالتالي يكون المجيز عالماً بما يخبر به ثقة في دينه وروايته، والثالث أن يكون المستجيز من أهل العلم فلا يضع العلم إلا عند أهله.[1]

وقد تقدم الإجازة على وجهين شفوية أو تحريرية. والشفوية أقدم عهداً وأول من منحها أبوهريرة إلى بشر بن مهتك، حيث قال: كتبت عن أبي هريرة كتاباً، فلما أردت أن أفارقه قلت يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتاباً فأرويه عنك؟ قال نعم أروه عني. أما الإجازة التحريرية ففيها يوضح الشيخ ما يجيزه بإطلاق، وهنا يحدد الشيخ تاريخ مولده ووطنه وأسماء شيوخه، وما يجب أن يرويه عنه عامة.[2]

والإجـــازة أصلاً وضعت كضمان لعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم وكانت مع الحديث ثم انتقلت إلى العلوم الأخرى، ولكن مع تغير الأحوال وتطور الزمان فقدت هذه الغاية السامية وأصبحت أشبه بالفوضى والعشوائية والمجاملة دون أن تعني مهارة حاملها في العلم أو تفوقه فيه، ولهذا لم يرتضيها كثير من العلماء ، حتى قال أبو ذر الهروي: " لوصحت الإجازة لبطلت الرحلة".[3]

---

[1]- ابن خير، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، منشورات دار الآفاق الجديدة-بريوت- ط2، 1399ه/1979م. ص260.

[2]- محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص414.

[3]- ابن بشكوال، الصلة، ج1. ص202.

وألف أبو العباس وليد بن بكر السرقسطي (ت392ه/1001م) كتاباً سماه "الوجازة في صحة القول بالإجازة" وضمن كتابه المذكور إشارات واضحة إلى بعض الإجازات الفاسدة التي لا يركن إليها ولا يلتفت إليها.[1]

4- أسس ومناهج وآراء علماء العصر

- عند القابســـــــــــي:

يذهب القابسي إلى أن الغاية الدينية هي التي تحدّد العلوم التي يدرسها الصبيان،وأول هذه العلوم حفظ القرآن، وقراءته، وكتابته، ونطقه، وتجويده، وتعليم الحساب، والموادالأخرى في نظره ليس بشرط لازم، وهو بهذا أيضًا يتفق مع ابن سحنون[2].

الدين أصل الأخلاق:

يعتبر القابسي الدين أصل الأخلاق؛ فالدين أساس التربية الخلقية في الإسلام، لذلكيجب أن يعمل التعليم على تهذيب الأخلاق، وأساس الأخلاق عنده الضمير الخلقي الحيالمستمد من الدين الذي يعتمد على ما ورد عن النبي -ﷺ- عندما سُئلماالإحسان قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك)) ويكون اكتسابالأخلاق عن طريق التعليم والقدوة، ولذلك كانت سيرة الرسول -ﷺ- ذاتفائدة تعليمية خلقية عظيمة قال تعالى: {وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[3]. وقال تعالى: {لَقَدْكَانَ لَكُمْ فِي رَسُول اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَوَاليَوْمَ الآخِرَ}[4].

الفضائل والرذائل:

أن الفضائل من تمام كمال الإنسان، وقد تنبّه القابسي إلى أثر تكوين العادة فياكتساب الفضائل لدى الإنسان، ولذا يوصي المعلم بتوجيه الصبيان إلى العادات الحسنة،وإبعادهم عن العادات الرذيلة وأول الصفات الطيبة التي يتحلّى بها الصبيان في نظره: الطاعة، وهي ليست واجبة عليهم نحو المعلم فحسب؛ بل هي واجبة نحو الله والرسول وأولياالأمر كما جاء في القرآن الكريم: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِياالأَمْر مِنْكُمْ}[5].

---

[1]- ابن خير، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف. ص 260.

[2]- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية،ط1، عالم الكتب-القاهرة- ،1425هـ/2005م. ص 314-318.

[3]- الآية: 7 من سورة الحشر

[4]- الآية: 21 من سورة الأحزاب

[5]- الآية: 59 من سورة النساء

ومن الصفات الطيبة: النظام؛ فالفوضى مفسدة للصبيان، ويقتضي النظام من الصبيانالانتظام في الحضور، وعند الانصراف من الدرس، والتحلي بالنظام في الدرس من الأعمالالمدرسية والعبادات الإسلامية خير ما يعود الإنسان على الطاعة والنظام، ولذا كانتممارستها واجبة، والمعلم مطالب بتعليمها للصبيان باعتبارها أصل الفضائل وعصمة منالرذائل.

الرفق بالصبيان:

إن العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل لنا في القصاص حياة، وقد أقر القابسي مبدأعقاب الصبيان، لكنه يترفق معهم تمشيًا مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو،وينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد، وطالبه بأن يكون رفيقًا به عادلًا في عقابه غير متشدد فيه، من الرفق ألا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل، وإنما ينبّه مرةبعد أخرى فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب، وقد نهى القابسي عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب، بل طلب من المعلم أن يترفق بالصبيان فيأذن لهمبالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب، ثم يعودون، وهذا يعني أن الدراسة بالكتاب كانت تمتد إلى العصر، ونهى القابسي عن الانتقام في العقاب، ولذا نهى المعلمعن ضرب الصبيان في حالة الغضب حتى لا يكون "ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه".[1]

وأشار القابسي إلى إتباع أسلوب الترغيب والترهيب في معاملة الصبيان، فأقر الضرب كعقوبة إلا أنه اشترط لها شروطًا من أهمها ما يلي:

1- لا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.

2- أن يكون العقاب على قدر الذنب.

3- أن يكون الضربمن واحدة إلى ثلاث، ويستأذن ولي الأمر فيما زاد عن ذلك.

4- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه،ولا يوكله لواحد من الصبيان.

5- أن يكون الضرب على الرجلين، ويتجنب الضرب على الوجهوالرأس، أو الأماكن الحساسة من الجسم.

6- أن آله الضرب هي الدرة أو الفلقة، ويجب أن يكونعود الدرة رطبًا مأمونًا، وهذه نفس الشروط تقريبًا التي أشار إليها ابن سحنون[2].

- ابن سحنـــــــــــــــــــــون:

[1]- المرجع السابق، محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. ص 314-318.

[2]- المرجع السابق. ص314-18.

لا يوجد ابن سحنون آراءً وأحكامًا مستقلة تعبر عن رأيه، وإنما يورد هذه الآراءمنسوبة إلى الأحاديث النبوية، أو القرآن الكريم، أو الروايات المدققة.

- فضل تعليم القرآن وتعلمه:

-كان أول ما أكده ابن سحنون فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه، ويقتبس لذلك أحاديثللنبي كقوله ﷺ: ((أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه))، ((ويرفع اللهبالقرآن أقوامًا))، ((وإن لله أهلين من الناس: حملة القرآن هم أهل الله وخاصته))،و((من قرأ القرآن بإعراب فله أجر شهيد)).

- العدل بين الصبيان:

- في إشارته إلى العدل المؤدّب بين الصبيان يُورد ابن سحنون حديثالنبي -ﷺ- الذي يقول: ((أيّما مؤدبٌ ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة،فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حُشر يوم القيامة معالخائنين)).[1]

- ما يكره محوه من ذكر الله تعالى:

- يستدلّ ابن سحنون في كلامه عن ما يكره محوه من ذكر الله تعالى، بما ورد عن أنس بنمالك قوله: "إذا محت صبية الكتاب"، "تنزيل رب العالمين" منألواحهم لأرجلهم، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره، ثم لم يبال حين يلقى الله على مايلقاه عليه.

- ويُورد على لسان أنس تفسيره للطريقة التي كانت تُمحى بها الألواح وماعليها من القرآن أيام الخلفاء الأربعة، فيقول: "كان للمؤدّب "أجانه" وكان صبي يأتي يومنوبته بماء طاهرٍ يصعبه فيها، وتمحى الألواح بغمسها في الأجانة المملوءة بالماء، ثميوضع الماء بعد الانتهاء من غسل الألواح في حفرة في أرض يصب فيها؛ لينشف كما يمكنمسح الألواح بلعقها، أو بمسحها بالمنديل وما أشبهه.[2]

- ما يجوز في الأدب وما لا يجوز:

- يُورد ابن سحنون تحت هذا العنوان روايات تتضمّن أقوالًا للنبي -ﷺ- تحدّد مدى ما يجوز للمعلم في عقاب الصبيان، وتأديبهم منها قول النبي -صلى الله عليهوسلم-: ((لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حدّ)) وقوله -ﷺ-: ((أدب الصبي ثلاثة دِرَر فما زاد عليه قوصص -من القصاص- يوم القيامة)).[3]

- وهذا يعني أن ضربالمعلم الصبي يجوز بين ثلاث دِرَر، ولا يزيد عن عشرة عند تأديبهم على اللعب والبطالة،ويكون التأديب بهدف

---

[1]- المرجع نفسه. ص307-313

[2]- المرجع نفسه. ص307-313.

[3]- المرجع السابق. ص307-313.

منفعتهم، لا بسبب غضب المؤدب، ولا يجوز للمؤدب أن يزيد في ضربهعلى ثلاثة دِرَر في تأديب الصبي على قراءة القرآن، ويجب أن يكون التأديب على قدر الذنبدون إسراف.

- وفي ختمه القرآن وما يجب للمعلم:

- يفهم مما يُورده ابن سحنون أن ختمه القرآن تكون إما بحفظ القرآن كله، أو معظمه، أونصفه، أو ثلثه، أو ربعة، ويكون ذلك حسب قدرة المتعلم، ولا يجوز للمعلم أن يحمل المتعلمفوق ما يريد أن يحفظه من القرآن إلا بإذن أبيه، كما يجوز للمعلم أن يأخذ هدايا منالصبيان في مناسبة الختمة وفي الأعياد فقط، ولا يجوز له أن يأخذ منهم هدايا فيما عداذلك إلا بإذن الآباء.

- وفيما ينبغي أن يخلى الصبيان فيه:

- يفهم مما يذكره ابن سحنون أن إجازة الصبيان في الأعياد تكون من يوم إلى ثلاثة فيعيد الفطر، ومن ثلاثة أيام إلى خمسة في عيد الأضحى، ولا يجوز للمعلم أن يرسل أحدًا منصبيانه في طلب من تغيب منهم إلا بإذن أولياء الأمور، إلا أن يكون الأماكن قريبة لاتلهي الصبي عن دراسة، وعليه أن يتعهّد المتغيبين من الصبيان بنفسه، وأن يخبر آبائهمبتغيبهم، ومن الأفضل ألا يكلف أحد صبيانه بالضرب، وإلا يجعل لهم عرّيفًا عليهم إلا إذاكان قد ختم القرآن وعرفه، وأصبح مستغنيًا عن التعليم، فلا بأس من أن يستعين به فيالتعليم لما في ذلك من منفعة للصبي، وله أن يستأذن والده في ذلك، ويجوز له أن يستأجرمن يعينه إذا كان في مثل كفاءته.

- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان:

ومما يورده ابن سحنون تحت هذا العنوان ما يلي:

- لا يحل للمعلم إن ينشغل عن الصبيانوهو يقوم بتعليمهم، اللهم في الأوقات التي تتخلل عمله، فلا بأس من أن يتحدث وهويتفقدهم وعينه عليهم.

- يعرض ابن سحنون لتحريم رمي الفاكهة على الناس عند الاحتفال بختم القرآن؛ لأن ذلكيعتبر طعامًا نهبةً، وقد نهى الرسول -ﷺ- عن أكل الطعام النهبة.

- يجب على المعلمأن يتفرّغ لتلاميذه، ولا يترك عمله للصلاة على الجنائز إلا في حالات الضرورة، ولايجوز له أن يترك عمله للسير في الجنائز، أو عيادة المرضى.

- ينبغي أن يخصّص المعلملتلاميذه وقتًا لتعليم الكتاب، وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن والشكل والهجاء، والخطالحسن، والقراءة الحسنة،

والتوقيف، والترتيل، أما تعليم الحساب، والشعر، والعربية،[1] والنحوفتعليمها ليس واجبًا عليه إلا إذا اشترط عليه ذلك.

- لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبيعلى رأسه أو وجهه، ولا يجوز له أن يمنع من طعامه وشرابه إذا أرسل في طلبه.

- لا يجوزللمعلم أن يوكل تعليم الصبية لبعض بل يجب أن يتولى ذلك بنفسه.

- لا يجوز للمعلم أنينشغل عن الصبيان، بأن يكتب لنفسه أو لغيره كتب الفقه إلا بعد انتهاء الصبية منالقراءة.

- على المعلم أن يحضر الدرة، والفلقة، وعليه أيضًا استئجار الحانوت، وليس علىالصبيان شيئًا من ذلك كله، ولكن إذا استأجر الآباء المعلم على تعليم الصبيان لمدةسنة، فعليهم استئجار المكان للمعلم.

- على المعلم أن يختبر مدى تقدم صبيانه في التعليم،وأن يخصص وقتًا معلومًا لمراجعة حفظ القرآن مثل عشية الأربعاء، ويوم الخميس، وأنيعفيهم من الحضور للدراسة يوم الجمعة.

- لا يجوز للمعلم أن يعلم صبيانه قراءة القرآنبالألحان، والغناء؛ لأنه مكروه.[2]

5- الحفـــــــــظ كظاهـــــــرة في التعليم الأندلسي

ومن الظواهر العلمية التي يدهش لها الدارس في التعليم الأندلسي ظاهرة الحفظ التي اشتهر بها عدد كبير من العلماء والفقهاء الأندلسيين وما من شك إنها نابعة أصلاً من المنهج التعليمي الذي التزمو به منذ نشأتهم.فالطفل كان يحفظ القرآن الكريم وعدداً كبيراً من الأحاديث في سن لا تتعدى الخامسة عشر. هذا إلى ما كان يتمتع به اولئك العلماء من استعداد ذهني وقدرة على الاستيعاب، ويلحظ الدارس لسيرهم نهم كانوا يرون في شربالبلاذرفائدة كبرى في تنشيط وتقوية الذاكرة، فالعلامة عبد الله ابن ابراهيم الكتامي (ت حوالي 471ه/1078م) كان يشربه باستمرار ويقال انه انتفع به، ولكنه لم ينج من آثاره الجانبية فقد اورثه متاعب نفسية واضطرابات عصبية.[3]

وممن لمع اسمه في الحفظ عبد الله بن عيسى الشيباني)ت530ه/1135م) كان يحفظ صحيح البخاري وسنن أبي داود، وأخذ قبل وفاته بمدة في حفظ صحيح مسلم.

---

[1]- المرجع نفسه . ص307-313.

[2]- المرجع السابق . ص307-313.

[3]- ابن بشكوال، الصلة، ج1. ص299.

والعلامة عبد الله بن محمد بن مالك (ت460ه/1067م) كان حافظاً لكتاب معاني القرآن للنحاس، وقد قرأه على تلميذه محمد بن فرح الفقيه.[1]

وهكذا يتبين لنا مدى ما تمتع به عدد من علماء الأندلس من قدرات واسعة على الحفظ، ولواننا تصفحنا بعضاً من تلك الكتب التي حفظها البعض كصحيح البخاري وسنن أبي داود، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني لهالنا ما نسمعه عن اولئك الأعلام، ولكن الإخلاص في طلب العلم والرغبة الصادقة فيه هونت عليهم كثيراً من ألوان المشقة والنصب.

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن طرق التعليم بالأندلس أن نشير إلى أن الأندلسيين اهتدوا إلى الكشف عن الطريقة العلمية الحديثة في تعليم العميان، وهي الطريقة التي يطلق عليها طريقة "برايل"، فقد كان الأندلسيون في عصر ملوك الطوائف مثلاً يستخدمونها في تعليم الأطفال الأكفاء وإلى هذه الطريقة يشير ابن حزم الأندلسي فيقول: (واجب على المكلف بيان الحق ونصره بأقصى ما يقدر عليه، ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبد الوارث –رحمه الله- أن أباه صور لوالد كان له ولد أعمى أكمه، حروف الهجاء ..... ثم ألمسه أياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه، ثم ألمسه تراكيبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في نفسه، ورفع بذلك عنه غصة عظيمة).[2]

ومن هذا يتبين لنا أن الأندلسيين كان لهم قصب السبق في اكتشاف هذه الطريقة التعليمية الهامة التي لا يستغنى عنها طائفة ليست بالقليلة في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

6- أمـــــــــــاكن التعليـــــــــــــــم

مما يستوقف الدارسين لتاريخ الأندلس وحضارتها، عدم وجود المدارس في ذلك القطر، رغم ما بلغه الأندلسيون من تفوق ورقي علمي، ولم تظهر المدارس إلا في عصور متأخرة، وبالذات إبان حكم بني الأحمر في غرناطة.

وما لا شك أن المسجد عند المسلمين كان يؤدي رسالة أكبر مما يتصور البعض من أنه عبادة فقط، فهو إلى جانب ذلك مركز إشعاع علمي للمجتمع ومنار هدى للناس، وظل المسجد على هذا الحال حتى ظهرت المدارس في المشرق فحجبت عن المسجد هنالك لوناً من ألوان نشاطه الديني والفكري، وأما الأندلسيون فقد ظلوا على التزامهم بوظيفة المسجد الأولى وكونه موضعاً للعبادة والعلم أيضاً، وهو ما أشار إليه

[1]- المصدر نفسه. ص 303.

[2]- عبد اللطيف شراره، ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت- ص 80.

المقري بقوله: (ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة).[1]

وما أشار إليه ابن فرحون في معرض ترجمته لأبي علي الصدفي (ت 514ه/1120م) من أنه لما عاد إلى الأندلس سنة (490ه/1096م) استقر بمدرسة مرسيه، فرحل إليه الناس، وهذه المسألة لا تصمد للنقد، فأن المؤرخين الذين ترجموا لأبي علي كابن بشكوال وابن الابار وغيرهم لم يشيروا إلى تلك المدرسة بتاتاً، في حين أن ابن فرحون الذي توفي (799ه/1297م) قال بذلك رغم الفارق الزمني الكبير بينه وبين عصر أبي علي، ولهذا لايبنى على كلامه، وبالتالي فإن مرسيه لم تشهد على أرضها في ذلك العصر قيان مدرسة من المدارس.

والحق أن المدارس ظهرت بصورة قاطعة لا تقبل الشك في القرنين السابع والثامن الهجريين كمدرسة صحن البرتقال بمالقة، وكان من بين من درس بها الفقيه محمد بن يوسف الطنجالي (ت 733ه/1332م). كما أنشئ بمالقة مدرسة أخرى على يد العلامة الصوفي محمد بن محمد بن عبد الرحيم (عاش في ما بين 678 و 754ه) وشهد هذا اللون من المؤسسات العلمية نهضة رائعة في عهد السلطان محمد بن محمد بن يوسف من بني الأحمر الذي حكم في الفترة مابين (671-701ه/1272-1301م)[2].

وبناء على ما تقدم فإن المسجد أو الجامع ظل هو المكان الرئيسي لتلقي العلوم والمعارف في الفترة موضوع البحث، وحتى في العصور التي شهدت قيام بعض المدارس في الأندلس، فإن تلك المدارس رغم ممارستها لوظيفتها السامية في التعليم والتثقيف إلا أن المسجد أو الجامع بقي يؤمه أفواج العلماء وطلبة العلم لتلقي دروسهم فيه والتماس البركة في أجوائه القسية.

وكان جامع قرطبة الشهير يمثل أحد مراكز الإشعاع العلمي الباهر، ولك تتزعزع مكانته بحتى بعد زوال الخلافة الأموية فقد ظل يؤدي رسالته العلمية على خير وجه، وكان تاريخه العريق، وما أضفاه الحكام الأمويون عليه من ضروب التشييد والإصلاح والتزيين قد جعل منه أشهر جامع في الأندلس على وجه الإطلاق، وكان يمثل لدى الأندلسيين

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1. ص 220. ويذكر ناجي معروف أن المدارس المستقلة في الإسلام نشأت قبل المدرسة المشهورة المعروفة بالنظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك ببغداد سنة (457ه/1064م) وأورد نصوصاً هامة تثبت ذلك منها ما أشار إيه السبكي من المدارس التي عرفت قبل نظام الملك مثل تلك المدرسة المعروفة بالمدرسة البيهقية بنيسابور، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضاً والتي بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو اسلطان محمود الغزنوي ... وغيرها من المدارس.

[2]- محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس. ص 386-387-388.

معلماً من معالم حضارتهم الزاهرة ولهذا فقد شهد هذا الجامع في تاريخه التعليمي عشرات الآلاف من العلماء وطلبة العلم الذين لم تنقطع صلتهم به حتى سقوط قرطبة في يد النصارى وفي جامع قرطبة كانت تعقد مجالس العلم المشهورة، ومنها مجلس العلامة الأديب عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي (ت 450ه/1058م)، الذي كان يزدحم بمئات العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه علومه، ولما كثرت أقلامهم ذات يوم أنشد:

إني إذا احتوشتني ألف مجرة يكتبن حدثني طوراً وأخبرني

نادت بعقرتي الأقلام معلنة هذي المفاخر لا قعبان من لبن[1]

ولم يكن جامع قرطبة رسالته العلمية وحده، بل كان يشاركه في ذلك بقية الجوامع في مختلف المدن الأندلسية الأخرى، وخصوصاً منها ماكان في عواصم ملوك الطوائف كبطليوسوطليطلة، ودانية وغرناطة، وسرقسطة، وبلنسية،كانت كلها تؤدي رسالتها العلمية بأمانة ودقة ونشاط كبير، وفي تلك المساجد والجوامع كان العلماء يعقدون مجالسهم العلمية وحلقاتهم الدراسية ويجرون فيها المناظرات العلمية في شتى فروع المعرفة المختلفة والتي كانت يشهدها الآلاف الطلبة بمختلف ميولهم وتخصصاتهم العلمية.

وكان بكثير من المساجد والجوامع مكاتب لتعليم الأطفال وتربيتهم ويقوم على أداء هذه المهمة المعلمون أو المؤدبون، وقد ظهر المكتب في الأندلس في فترة مبكرة، فالزبيدي يذكر أن الغازي بن قيس (ت 199ه/ 814م) كان يمارس مهنة التأديب في الفترة التي دخل فيها عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سنة (138ه/756م).

والمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، ويكون مهيئاً بطبيعة الحال لتلقي العلم والتربية السليمة من قبل المؤدبين، وقد يكون المكتب غرفة في منزل، أو حانوتاً يكترى، أو فناء أو غير ذلك، ومن أشهر المكاتب في الأندلس ما أمر بتشييده الحكم المستنصر، وهي سبعة وعشرون منها ثلاثة تلحق بالمسجد الجامع بقرطبة، والباقي فرقها على أرباضها وعين لها المعلمين والمؤدبين.[2]

ورغم انحصار التعليم في الساجد والجوامع إلا أن هناك كثير من حلقات العلم وندوات الدرس كانت تنعقد في مواضع أخرى، فقد عرفت البيوت والمنازل كثيراً من حلقات الدرس، كما تلقى طلبة الطب كثيراً من دراساتهم وتجاربهم في أماكن أخرى غير المساجد، كما أن الاهتمام

[1]- الحميدي، جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب- القاهرة- سنة 1966م. ص284-285.

[2]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج2. ص240-241.

بالفلسفة لدى البعض دفعتهم إلى قراءة كتبها وتدارس مسائلها في مواضع خاصة غير المساجد.[1]

كما أن من المفيد أن نشير إلى أن علوماً أخرى كالفلك والرياضيات والكيمياء وغير من العلوم البحتة كانت حلقاته الدراسية تتم في أماكن أخرى تسمح بإجراء بعض التجارب العلمية وتحتاج إلى ممارسة نشاط حر لايتلائم مع مكانة المسجد ومنزلته، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد في وجود مثل تلك المواضع التي تجرى فيها الدراسات العلمية البحتة.

وفي ميدان العلوم الدينية، نرى أحد العلماء وهو فرج بن أبي الحكم ابن عبد الرحمن اليحصبي (ت448 ه) يحبس داره على طلبة السنة.

وكان للعلامة علي بن محمد بن هذيل ضيعة يخرج لتفقدها، فيصحبه إليها كثير من طلابه، وما أن يجلس بها حتى يتدارس مهم العلم (فمن قارئ ومن سامع وهو منشرح لذلك طويل الاحتمال على فرط ملازمتهم ليلاً ونهاراً).[2]

وشهد عدد من منازل العلماء نشاطاً علمياً جيداً، فقد قرأ العلامة طاهر بن خلف بن خيرة على أبي علي رياضة المتعلمين لأبينعيم بمنزل أبي داود المقري وفرغ من ذلك سنة (491ه/1097م).

ومن رواية العلامة زاوي بن مناد الصنهاجي (ت 539ه/1144م)، ما قرئ على أبي علي وهو يسمع بمنزله في مرسيه سنة (508ه/1114م)، والأديب محمد بن خليد (القرنين الخامس والسادس الهجريين) سمع مقامات الحريري من العلامة ابي الحجاج القضاعي بالمرية، وفي حانوت بباب الزياتين منها.

وبناءً على ما تقدم يتبين لنا أن النشاط العلمي لم يكن محصوراً في أبهاء المساجد والجوامع بل تسرب ذلك النشاط إلىكثير من المواضع سواء في المنازل أو في بعض الحوانيت، أو في بستان من البساتينأو غير ذلك من الأماكن التي يرتاح إليها الأستاذ وطلبته ويتحقق فيها العلم والفهم.

وعلى ذلك فإن جملة ما قدمه العلماء الأندلسيون من حيث نهضتها الأدبية والعمرانية يعدّ صفحة مشرقة من صفحات الحضارة الإسلامية والإنسانية والتي تبرز قيمتها فيما أسدوه من ثمرات الفكر العلمي ومن النتائج المستخلصة نجد:

---

[1]- خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس. ص145.

[2]- الذهبي، معرفة القرآء الكبار، ج2، حققه محمد سيد جاد الحق، مطبعة دار التأليف- القاهرة- ط1. ص417.

- تطور وازدهار النشاط العلمي والعناية به من طرف خلفائها وملوكها وجهودهم المبذولة في سبيل ازدهار الحركة العلمية.
- أيضاً كان للرحلات العلمية بين المشرق والأندلس دور مهم في ازدهار الحياة العلمية، فقد نتج عن ذلك التأثير العلمي الكبير ازدهار الحركة الفكرية في الأندلس والتعريف بمناهج البحث والدراسة التي سبقهم إليها أهل المشرق.
- إنشاء المكتبات كما فعل الخليفة المستنصر بالله الذي انشأ مكتبة تضم 400000 كتاب في مختلف العلوم والأصناف .
- تطور العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير التي لقيت اهتماماً كبيراً وعناية فائقة من قبل العلماء الاندلسيون والعمل على انتشارها بسرعة في انحاء الدولة.

المصـــــــــــــــــــــــادر والمراجع -

1- ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الدار العربية للكتاب-ليبيا، تونس- ط1، 1981م.
2- ابن بشكوال، الصلة، ج1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب القاهرة، 1966م.
3-الحميدي، جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب- القاهرة- سنة 1966م.
4- ابن الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، دار الكتاب العلمية –بيروت- منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
5-ابن خير، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، منشورات دار الآفاق الجديدة-بريوت- ط2، 1399ه/1979م.
6- ابن خلدون، المقدمة، بيروت ، 1958-1959م .
7-ابن خلكان، وفيات الأعيان ج4، دار صادر –بيروت- 1972م.
8-الداودي، طبقات المفسرين، ج1، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبه- القاهرة- ط1، 139هـ.
9-الذهبي، معرفة القرآء الكبار، ج2، حققه محمد سيد جاد الحق، مطبعة دار التأليف- القاهرة- ط1.
10-ابن عذارى، البيان المغرب ، ج2، تحقيق كولان، دار الثقافة –بيروت-لبنان، ط3، 1983م.
11- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ج7 ، بيروت، 1968م.
12-خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف بمصر- مطبعة القاهرة الجديدة.
13-سعيد عبد البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، جامعة أم القرى.
14-عبد اللطيف شراره، ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-.
15-محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، إدارة الثقافة والنشر لجامعة الإمام محمد بن سعود ، سنة 1400 ه.

16- محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكرالعربي، ط1، 1982م.
17- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية،ط1، عالم الكتب-القاهرة- ،1425هـ/2005م.